أنت المنيعة

عبد السلام الزيتوني

إلى صديقي الشاعر العراقي الكبير
حميد سعيد في عزلته الشامخة

فكّي الصفيرةَ
وانزعي هذا النقابْ
ولا تحرجيني كثيرا
ولا تسأليني على أيّ بحرٍ أتيتُ
وكيف خدعتُ المحيطاتِ كَيْمَا ألاحق عينين
ممهورتيْن بنبض السحابْ.
أنا عاشقٌ من سلالةِ مَنْ رصدوا النَّجمَ قِدْما
وأسرجوا كلَّ الجوارح خلفكِ
ما نخلة في البراري معافية ظلَّلَتْكِ
ولم تغتسل بمداديَ
أو يختزنها كتابْ.
مشيتُ على عطشي الدامي
ألبستُ عينيكِ سبعاً من الصلوات
وكلُّ الموانئ حاقدة
والطريق لعينيكِ محكومةٌ بنصوب الكواسر :
كم من إلهٍ
وكم من صراط
وكم من حساب
وكنتُ المخاتل أمشي ولا من طريق لعينيك إلا جوارحي

حيث السماواتُ طازجة
وديارُ الأحبّة تنهض قافلةً من شعاع
وأيقونةً من شهاب.
أبغدادُ، كلُّ مواجدي جاهزة
وليلايَ فاتنة تتمنع نخلاً وفاكهةً ونبيذ.
تُراها على أيّ جمر تمرّ القوافل
ماذا لو انتعل المرء خمرَ الفرات
وأحصنةً من يقين اللغاتْ؟
نتحلّج حتى حدود اللياقة لا أحد يتنكّب حين نغيب
وحين نعود مع الخمر نهطل ظلاً كما تشتهيها الرمايةُ
نافورةً تتوعّد
أو شهقةً من دماءْ.
أديارَ الحبيبة «ما جئتُ أطلبُ نارا»
و«ما جئت أشعل نارا»
وما قذفتْ بي العمومةُ وحدها
أنتِ المنيعة ما أذعنتْ لغريب
ولم تستملها رياحُ المجانين والشعراءْ.

المغرب

١ ـ الشطران «بين قوسين» للشاعر أحمد شوقي (بتصرف)